سورة النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها، على أن القيامة حق. و﴿النَّازِعَاتِ﴾: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار؛ قاله علي رضي الله عنه، وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق (١) ومجاهد: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم (٢). قال ابن مسعود: يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم، من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافير وأصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب، ثم يغرقها، أي: يرجعها في أجسادهم، ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار (٣). وقاله ابن عباس (٤). وقال سعيد بن جبير: نزعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم حرقت؛ ثم قذف بها في النار (٥). وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق. وقال السدي: و﴿النَّازِعَاتِ﴾ هي النفوس حين تغرق في الصدور (٦). مجاهد: هي الموت ينزع النفوس (٧). الحسن وقتادة (٨): هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق؛ أي: تذهب، من قولهم: نزع إليه، أي: ذهب، أو من قولهم: نزعت الخيل، أي: جرت. ﴿غَرْقًا﴾ أي: إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر، وقاله أبو عبيدة وابن كيسان والأخفش. وقيل: النازعات القسي تنزع بالسهام؛ قاله عطاء وعكرمة. و﴿غَرْقًا﴾ بمعنى إغراقا؛ وإغراق النازع في القوس أن يبلغ غاية المد، حتى ينتهي إلى النصل. يقال: أغرق في القوس، أي: استوفى مدها، وذلك بأن تنتهي إلى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه. والاستغراق الاستيعاب. ويقال لقشرة البيضة الداخلة «غرقئ». وقيل: هم الغزاة الرماة.

(١، ٢) ذكرهما الطبري (٣٠/ ٢٩) والإسناد إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ضعيف، أما الإسناد إلى ابن مسعود، فهو حسن، والإسناد إلى مجاهد صحيح، وكذا إلى مسروق. ورواه سعيد بن منصور عن علي كما في الدر المنثور (٦/ ٥٠٨) للسيوطي.

(٣ ـ ٥) حسن: كذا من طريق مرة الهمداني.

(٦) رواه الطبري (٣٠/ ٣٠) في تفسيره.

(٧) صحيح إلى مجاهد: السابق (٣٠/، ٣١).

(٨) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ٣١).

وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٤٤) فقد جمع الأقوال جميعها، وانظر: الدر المنثور (٦/ ٥٠٨ ـ ٥١٠).

قلت: هو والذي قبله سواء؛ لأنه إذا أقسم بالقسي، فالمراد النازعون بها تعظيما لها؛ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] والله أعلم. وأراد بالإغراق: المبالغة في النزع وهو سائغ في جميع وجوه تأويلها، وقيل: هي الوحش تنزع إلى الكلأ وتنفر، حكاه يحيى بن سلام، ومعنى ﴿غَرْقًا﴾ أي: إبعادا في النزع.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه [١]. وحكى هذا القول الفراء ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت وكأنما أنشط من عقال. وربطها: نشطها والرابط: الناشط، وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته، فأنت ناشط، وإذا حللته فقد أنشطته وأنت منشط، وعن ابن عباس أيضا [٢]: هي أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج؛ وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها ما أعد الله له من أزواجه وأهله من الحور العين، فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم، وعنه أيضا قال: يعني أنفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب، الذي يعقب به السهم. والعقب بالتحريك: العصب الذي تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبة؛ تقول منه: عقب السهم والقدح والقوس عقبا: إذا لوى شيئا منه عليه. والنشط: الجذب بسرعة، ومنه الأنشوطة: عقدة يسهل انحلالها إذا جذبت مثل عقدة التكة. وقال أبو زيد: نشطت الحبل أنشطة نشطا: عقدته بأنشوطة، وأنشطته أي: حللته، وأنشطت الحبل أي: مددته حتى ينحل، قال الفراء: أنشط العقال، أي: حل، ونشط: أي: ربط الحبل في يديه، وقال الليث: أنشطته بأنشوطة وأنشوطتين أي: أوثقته، وأنشطت العقال: أي: مددت أنشوطته فانحلت. قال: ويقال: نشط بمعنى أنشط، لغتان بمعنى؛ وعليه يصح قول ابن عباس المذكور أولا، وعنه أيضا: الناشطات الملائكة لنشاطها، تذهب وتجيء بأمر الله حيثما كان، وعنه أيضا وعن علي رضي الله عنهما: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار، ما بين الجلد والأظفار، حتى تخرجها من أجوافهم نشطا بالكرب والغم، كما ينشط الصوف من سفود الحديد [٣]، وهي من النشط بمعنى الجذب؛ يقال: نشطت الدلو أنشطها بالكسر، وأنشطها بالضم: أي: نزعتها.

قال الأصمعي: بئر أنشاط: أي: قريبة القعر، تخرج الدلو منها بجذبة واحدة، وبئر نشوط؛ قال: وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى تنشط كثيرا، وقال مجاهد [٤]: هو الموت ينشط نفس الإنسان، السدي [٥]: هي النفوس حين تنشط من القدمين، وقيل: النازعات: أيدي الغزاة أو أنفسهم، تنزع القسي بإغراق السهام، وهي التي تنشط الأوهاق [٦]. عكرمة وعطاء: هي

(١) ضعيف: الطبري (٣٠/ ٣٠، ٣١ من طريق العوفيين ومن طريقه رواه ابن أبي حاتم.

(٢) كذا في الدر المنثور (٦/ ٥٠٩).

(٣) سفود الحديد: هو عود الحديد.

(٤) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٣٠/ ٣١).

(٥، ٦) كذا في الطبري (٣٠/ ٣١).

والأوهاق: في اللسان: جمع (وهق) وهو الحبل المغار الذي ترمى فيه أنشوطة فتوخذ فيه الدابة والإنسان. اللسان «وهق».

الأوهاق تنشـط البهائم [١]، وعن عطاء أيضا وقتادة والحسن والأخفش: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق: أي: تذهب [٢]، وكذا في «الصحاح»: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ يعني النجوم[تنشط] من برج إلى برج، كالثور الناشط من بلد إلى بلد. والهموم تنشط بصاحبها؛ قال هميان بن قحافة:

أَمْسَت همومي تنشط المناشِطَا الشامَ بِي طوراً وطوراً واسِطَا

أبو عبيدة وعطاء أيضا: الناشطات: هي الوحش حين تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد؛ وأنشد قول هميان:

أمست همومي. . . البيت

وقيل: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾للكافرين، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ للمؤمنين، فالملائكة يجذبون روح المؤمن برفق، والنزع: جذب: بشدة، والنشط: جذب برفق، وقيل: هما جميعا للكفار والآيتان بعدهما للمؤمنين عند فراق الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ قال علي رضي الله عنه: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين[٣]. الكلبي: هي الملائكة تقبض أرواح المؤمنين، كالذي يسبح في الماء، فأحيانا ينغمس وأحيانا يرتفع، يسلونها سلا رفيقا بسهولة، ثم يدعونها حتى تستريح [٤]، وقال مجاهد وأبو صالح: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله، كما يقال للفرس الجواد سابح: إذا أسرع في جريه [٥]، وعن مجاهد [٦] أيضا: الملائكة تسبح في نزولها وصعودها، وعنه أيضا: السابحات: الموت يسبح في أنفس بني آدم، وقيل: هي الخيل الغزاة؛ قال عنترة:

والخيلُ تعلَمُ حين تَسْبَحُ في حِياض الموت سَبْحا

وقال امرؤ القيس:

مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنَى أَثَرْنَ غُباراً بالكَديد المُرَكَّلِ

قتادة والحسن: هي النجوم تسبح في أفلاكها، وكذا الشمس والقمر [٧]؛ قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. عطاء: هي السفن تسبح في الماء [٨]. ابن عباس: السابحات أرواح المؤمنين تسبح شوقا إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج [٩].

---

(١) كذا في الطبري (٣٠/ ٣١).

(٢) إنما هو عن قتادة وقد سبق.

(٣) عزاه السيوطي (٦/ ٥٠٨) في الدر المنثور لابن المنذر وسعيد بن منصور

(٤، ٥) أبو صالح والكلبي ضعيفان.

(٦) انظر: الطبري (٣٠/ ٣٢) في تفسيره وقد سبق.

(٧) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ٣٢)، وابن كثير (٨/ ٢٤٤) في تفسيره واختاره ابن كثير.

(٨) حسن إليه: السابق (٣٠/ ٣٢)، وابن كثير (٨/ ٢٤٤).

(٩) غريب من قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما: ذكره الشوكاني (٧/ ٤٠٦) في فتح القدير، وهو ضعيف جدًا، فقد عزاه السيوطي (٦/ ٥٠٨) في الدر المنثور إلى (جويبر) وهو هالك.

قوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ قال علي رضي الله عنه: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام، وقاله مسروق ومجاهد [١]، وعن مجاهد أيضا وأبي روق: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح، وقيل: تسبق بني آدم إلى العمل الصالح فتكتبه [٢]، وعن مجاهد أيضا: الموت يسبق الإنسان [٣]. مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ابن مسعود: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور. شوقا إلى لقاء الله تعالى ورحمته[٤]، ونحوه عن الربيع، قال: هي النفوس تسبق بالخروج عند الموت، وقال قتادة والحسن ومعمر: هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير [٥]. عطاء: هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد [٦]، وقيل: يحتمل أن تكون السابقات ما تسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار؛ قاله الماوردي، وقال الجرجاني: ذكر: ﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ بالفاء لأنها مشتقة من التي قبلها؛ أي: واللائي يسبحن فيسبقن، تقول: قام فذهب؛ فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب، ولو قلت: قام وذهب، لم يكن القيام سببا للذهاب.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قال القشيري: أجمعوا على أن المراد الملائكة، وقال الماوردي: فيه قولان: أحدهما: الملائكة؛ قاله الجمهور، والقول الثاني: هي الكواكب.السبعة، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل [٧]، وفي تدبيرها الأمر وجهان: أحدهما: تدبير طلوعها وأفولها. الثاني: تدبير ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال، وحكى هذا القول أيضا القشيري في تفسيره، وأن الله تعالى علق كثيرا من تدبير أمر العالم بحركات النجوم، فأضيف التدبير إليها وإن كان من الله، كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره، وعلى أن المراد بالمدبرات الملائكة، فتدبيرها: نزولها بالحلال والحرام وتفصيله؛ قاله ابن عباس [٨] وقتادة وغيرهما، وهو إلى الله جل ثناؤه، ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك؛ كما قال عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، يعني جبريل نزله على قلب محمد ﷺ، والله عز وجل هو الذي أنزل.

وروى عطاء عن ابن عباس: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾: الملائكة وكلت بتدبير أحوال الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك [٩]. قال عبد الرحمن بن سابط: تدبير أمر الدنيا إلى أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس في البر والبحر، وأما إسرافيل فهو ينزل

(١، ٢) هكذا رواه ابن كثير (٨/ ٢٤٥) في تفسيره ، وعزاه السيوطي (٦/ ٥٠٩) في الدر المنثور لابن أبي حاتم في تفسيره.

(٣) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٣٠/ ٣٢) في تفسيره .

(٤) انظر : الدر المنثور (٦/ ٥٠٩) وعزاه لابن أبي حاتم .

(٥) صحيح إليه : الطبري (٣٠/ ٣٢) في تفسيره .

(٦) حسن إليه : انظر السابق نفسه .

(٧) انظر: فتح القدير (٧/ ٤٠٦) للشوكاني وفيه انقطاع بين خالد بن معدان ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه .

(٨) صحيح إلى قتادة : كما عند الطبري (٣٠/ ٣٢) في تفسيره ، وابن كثير (٨/ ٢٤٤) في تفسيره.

(٩) لم أجده هكذا ،وانظر : فتح القدير (٧/ ٤٠٦) .

بالأمر عليهم، وليس من الملائكة أقرب من إسرافيل، وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام[١]، وقيل: أي: وكلوا بأمور عرفهم الله بها، ومن أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله به، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس لنا ذلك إلا به عز وجل، وجواب القسم مضمر، كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن، أضمر لمعرفة السامعين بالمعنى؛ قاله الفراء، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] ألست ترى أنه كالجواب لقولهم: «أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً» نبعث؟ فاكتفى بقول: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾؟ وقال قوم: وقع القسم على قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦] وهذا اختيار الترمذي بن علي، أي: فيما قصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى وفرعون ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ولكن وقع القسم على ما في السورة مذكورا ظاهرا بارزا أحرى وأقمن من أن يؤتي بشيء ليس بمذكور فيها قال ابن الأنباري: وهذا قبيح، لأن الكلام قد طال فيما بينهما، وقيل: جواب القسم ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ لأن المعنى: قد أتاك.

وقيل: الجواب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ على تقدير ليوم ترجف، فحذف اللام، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره يوم ترجف الراجفة وتتبعها الرادفة والنازعات غرقا، وقال السجستاني: يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير، كأنه قال: فإذا هم بالساهرة والنازعات، ابن الأنباري: وهذا خطأ؛ لأن الفاء لا يفتح بها الكلام، والأول الوجه، وقيل: إنما وقع القسم على أن قلوب أهل النار تجف، وأبصارهم تخشع، فانتصاب « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » على هذا المعنى، ولكن لم يقع عليه.

قال الزجاج: أي: قلوب واجفة يوم ترجف، وقيل: انتصب بإضمار: اذكر و﴿ تَرْجُفُ﴾ أي: تضطرب، «والراجفة »: أي: المضطربة كذا قال عبد الرحمن بن زيد؛ قال: هي الأرض، والرادفة: الساعة، مجاهد: الراجفة الزلزلة ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ الصيحة، وعنه أيضا وابن عباس والحسن وقتادة: هما الصيحتان، أي: النفختان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى، وأما الثانية فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: « بينهما أربعون سنة »[٢] وقال مجاهد أيضا: الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة، وذلك بعد الزلزلة[٣].

وقيل: الراجفة تحرك الأرض، والرادفة زلزلة أخرى تفني الأرضين، فالله أعلم، وقد مضى في آخر «النمل» ما فيه كفاية في النفخ في الصور[٤].

وأصل الرجفة: الحركة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ وليست الرجفة ههنا من الحركة فقط، بل من قولهم: رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا: أي: أظهر الصوت والحركة، ومنه سميت الأراجيف، لاضطراب الأصوات بها، وإفاضة الناس فيها؛ قال:

أبالأراجيف يابن اللوم تُوعِدني ... وفي الأَرَاجيف خِلتُ اللؤمَ والخَوَرَا

وعن أبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ كان إذا ذهب ربع الليل قام ثم قال: « يا أيها الناس

---

(١) قول لا سند له، وإن كان حسنًا إليه وهو مرسل: البيهقي (١/ ١٧٧) في شعب الإيمان.

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٥) في التفسير، ومسلم (٢٩٥٥)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ولفظه: « ما بين النفختين أربعون » قال: أربعون يومًا.

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٣٠/ ٣٤) في تفسيره.

(٤) عند الآية (٨٧).

اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه »[١]، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾أي: خائفة وجلة؛ قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين[٢]، وقال السدي: زائلة عن أماكنها[٣]، نظيره: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨].

وقال المؤرج: قلقة مستوفزة، مرتكضة[٤] غير ساكنة، وقال المبرد: مضطربة، والمعنى متقارب، والمراد قلوب الكفار؛ يقال وَجَفَ القلبُ يَجِفُ وَجِيفا: إذا خفق، كما يقال: وَجَبَ يَجِبُ وَجِيبا، ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو، والإيجاف حمل الدابة على السير السريع، قال:

بُدِّلْنَ بعد جهرة صَرِيفَا وبعد طول النَّفَسِ الوجيفا

و﴿ قُلُوبٌ ﴾ رفع بالابتداء و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفتها، و﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ خبرها؛ مثل قوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] ،ومعنى: ﴿خَاشِعَةٌ﴾ منكسرة ذليلة من هول ما ترى، نظيره﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣]، والمعنى أبصار أصحابها، فحذف المضاف، ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث، إذا قيل لهم: إنكم تبعثون، قالوا منكرين متعجبين: أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر، فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ وهو كقولهم: ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ يقال: رجع فلان في حافرته،وعلى حافرته، أي: رجع من حيث جاء؛ قاله قتادة[٥]، وأنشد ابن الأعرابي:

أحافِرةً على صَلَعٍ وشَيْبِ مَعَاذَ اللَّهِ من سَفَهٍ وعارِ

يقول: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا بعد أن شبت وصلعت! ويقال: رجع على حافرته: أي: الطريق الذي جاء منه، وقولهم في المثل: النقد عند الحافرة، قال يعقوب: أي: عند أول كلمة، ويقال: ألتقي القوم فاقتتلوا عند الحافرة،أي: عند أول ما التقوا، وقيل: الحافرة العاجلة؛أي: أئنا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كنا؟ قال الشاعر:

آليتُ لا أنساكُمُ فاعلمُوا حَتَّى يُرَدَّ الناسُ في الحافِرة

وقيل: الحافرة: الأرض التي تحفر فيها قبورهم،فهي بمعنى المحفورة؛ كقوله تعالى: ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[الطارق]و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾[القارعة]، والمعنى أئنا لمردودون في قبورنا أحياء، قاله مجاهد والخليل والفراء، وقيل: سميت الأرض الحافرة؛ لأنها مستقر الحوافر، كما سميت القدم أرضا؛ لأنها على الأرض، والمعنى أئنا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشي على أقدامنا، وقال ابن زيد: الحافرة: النار، وقرأ ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[٦]، وقال مقاتل وزيد بن أسلم: هي اسم من أسماء النار[٧]، وقال

---

(١) حسن: الترمذي (٢٤٥٧) في صفة القيامة ،وحسنه الألباني في سنن الترمذي (ص٥٥٣، ٥٥٤) ـ ط ـ الرياض ، وفي صحيح الجامع (٧٨٦٣) .

(٢) انظر: الطبري (٣٠/ ٣٢) ، وابن كثير (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥)،والدر المنثور (٦/ ٥١٠، ٥١١) للسيوطي وإن كان السند إلى ابن عباس ضعيفاً لكونه عن علي بن أبي طلحة ومروى عن طريق العوفيين أيضًا .

(٣) كذا في تفسير البغوي (٨/ ٣٢٧) في تفسيره ، وفتح القدير (٧/ ٤٠٧) .

(٤) مرتكضة : مضطربة ـ كما في اللسان«ركض» .

(٥) صحيح إلى قتادة : الطبري (٣٠/ ٣٦) .

(٦) حسن إليه : الطبري (٣٠/ ٣٧) في تفسيره .

(٧) انظر السابق .

ابن عباس: الحافـرة في كلام العرب: الدنيا [١] ، وقرأ أبو حيوة: «الحفرة» بغـير ألف، مقصور من الحافر، وقيل: الحـفرة: الأرض المنتنة بأجساد موتاها؛ من قولهم: حفـرت أسنانه، إذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها، يقـال: في أسنانه حفر، وقد حـفرت تحفر حَفْـرا، مثل كَسر يكْسِـر كَسرا، إذا فسدت أصولهـا، وبنو أسد يقولون: في أسنانه حَفَرٌ بالتـحريكَ، وقد حفرت مثـال تعب تعبا، وهي أردأ اللغتين؛ قاله في« الصحاح ».

قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ أي: بالية مـتفتـتة، يقال: نخر العـظم بالكسر، أي: بلي وتفتت؛ يقـال: عظام نخرة، وكذا قـرأ الجمهور من أهل المدينة ومـكة والشام والبصرة،واختـاره أبو عبيد؛ لأن الآثار التي تذكر فـيها العظام،نظرنا فيها فرأينا نخرة لا ناخرة، وقـرأ أبو عمرو وابنه عبد الله وابن عبـاس وابن مسعود وابن الزبيـر وحمزة والكسـائي وأبو بكر: «ناخرة» بألف[٢]، واختـاره الفراء والطبري وأبو مـعاذ النحـوي؛ لوفاق رؤوس الآي [٣]، وفي الصحـاح: والناخر من العظام التي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير، ويقال: ما بها ناخر، أي: ما بها أحد، حكاه يعقوب عن الباهلي.

وقال أبو عمـرو بن العلاء: الناخرة التي لم تنخر بعد، أي: لـم تبل ولا بد أن تنخر، وقيل: الناخر المجوفة، وقيل: هما لغتان بمعنى؛ كذلك تقول العرب: نخر الشيء فهو نَخِر ونَاخر؛ كقولهم: طمع فهو طمع وطامع، وَحذِر وحَاذر، وبَخل وباخِل، وفَرِه وفَاره؛ قال الشاعر:

يظَلّ بِها الشيخُ الذي كان بادنا ... يَدب على عُوجٍ له نَخرات

عوج: يعني قوائم، وفي بعض التفسير: ناخرة بالألف: بالية، ونَخِرة: تنخَرُ فيها الريح ، أي: تمر فيها، على عكس الأول؛ قال:

مِن بعد ما صِرتُ عِظَاما ناخره

وقال بعضهم: الناخرة: التي أكلت أطرافها وبقـيت أوساطها، والنخرة: التي فسدت كلها، قال مجاهد: نخرة ، أي: مرفـوتة؛ كما قال تعالى: ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ [الإسراء.٤٩] ،ونخرة الريح بالضم: شدة هبوبها، والنخرة أيـضا والنخرة مثال الهمزة: مقدم أنف الفـرس والحمار والخنزير؛ يقال: هشم نُخْرته ، أي: أنفه، ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: رجعـة خائبة، كاذبة باطلة، أي: ليـست كائنة؛ قاله الحـسن وغيـره. الربيع بن أنس: ﴿ خَاسِرَةٌ ﴾ على من كـذب بها [٤]، وقيل: أي: هـي كرة خسران، والمعنى أهلها خاسرون؛ كما يقـال: تجارة رابحة ، أي: يربح صاحبها، ولا شيء أخسر من كرة تقتضي المصير إلى النار.

وقال قتادة ومحمد بن كعب: أي: لئن رجـعنا أحياء بعد الموت لنحشرن بالنار، وإنما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار [٥]، والكر: الرجوع؛ يقـال: كرة، وكر بنفـسه، يتعدى ولا يتـعدى، والكرة: المرة،والجمع الكرات.

(١) انظر: تفسير اللباب (١٦/ ٢٠٧) لابن عادل .

(٢) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٦) .

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٣٦، ٣٧) .

(٤) انظر: فتح القدير (٧/ ٤٠٩)للشوكاني .

(٥) ضعيف إليه: فيه أبو معشر وهو نجيح السندى ضعيف ، وهو إسناد الطبري (٣٠/ ٣٧) .

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ذكر جل ثناؤه سهولة البعث عليه فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: نفخة واحدة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: الخلائق أجمعون ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: على وجه الأرض، بعد ما كانوا في بطنها [١]، قال الفراء: سميت بهذا الاسم؛ لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض: ساهرة، بمعنى ذات سهو؛ لأنه يسهر فيها خوفا منها، فوصفها بصفة ما فيها؛ واستدل ابن عباس والمفسرون بقول أمية بن أبي الصلت:

وفيها لحمُ ساهِرةٍ وبحرٌ وما فاهوا بِهِ لَهمُ مُقِيمُ

وقال آخر يوم ذي قار لفرسه:

أقدم مَحَاج إنها الأساوره ولا يهُولنَّك رجل نـادرُه
فإنما قَصْرُك تُربُ السَّاهِرهْ ثم تعودُ بعدَها في الحافِرهْ
مِن بعدِ ما صِرت عِظاما ناخِرَهْ

وفي الصحاح، ويقال: الساهور: ظل الساهرة، وهي وجه الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، قال أبو كبير الهذلي:

يَرتَدْنَ ساهِرةً كانّ جميمَها وعميمَها أسْداف ليلٍ مُظلِم

ويقال: الساهور: كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف، وأنشدوا قول أمية بن أبي الصلت:

قَمر وساهورٌ يُسَلّ ويُغْمَدُ

وأنشد الآخر في وصف امرأة:

كأنها عِرقُ سامٍ عند ضارِبِه أو شُقَّةٌ خرجَتْ من جوفِ سَاهورِ

يريد شقة القمر، وقيل: الساهرة: هي الأرض البيضاء، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: أرض من فضة لم يعص الله جل ثناؤه عليها قط خلقها حينئذ [٢]، وقيل: أرض جددها الله يوم القيامة، وقيل: الساهرة اسم الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض، وقال الثوري: الساهرة: أرض الشام [٣]. وهب بن منبه: جبل بيت المقدس [٤]، عثمان بن أبي العاتكة: إنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام، وهو الصقع الذي بين جبل أريحاء وجبل حسان يمده الله كيف يشاء [٥]. قتادة: هي جهنم، أي: فإذا هؤلاء الكفار في جهنم، وإنما قيل لها ساهرة؛ لأنهم لا ينامون عليها حينئذ [٦]، وقيل: الساهرة: بمعنى الصحراء على شفير جهنم؛ أي: يوقفون بأرض القيامة، فيدوم السهر حينئذ، ويقال: الساهرة: الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك، لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة: جارية الماء، وفي ضدها:

(١، ٢) منقطعان: الضحاك لم يلق ابن عباس ـ رضي الله عنهما ..
(٣) رواه ابن كثير (٨/ ٢٤٥) في تفسيره، وفتح القدير (٧/ ٤٠٩).
(٤) ضعيف إلى وهب: الطبري (٣٠/ ٤٠) في تفسيره.
(٥) فيه ضعيف: الوليد بن مسلم مدلس يدلس تدليس التسوية وقد عنعنه ولا يصح حديثه إلا إن صرح بالتحديث من أول الإسناد حتى آخره كما عند الطبري (٣٠/ ٤٠) في تفسيره.
(٦) حسن: السابق (٣٠/ ٤٠).

نائمة؛ قال الأشعث بن قيس:

وساهرة يُضحي السرابُ مُجَلِّلاً لأقطارِها قد جئتُها متلثِّما

أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦ ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)﴾ أي: قد جاءك وبلغك ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ وهذا تسلية للنبي ﷺ، أي: إن فرعون كان أقوى من كفار عصرك، ثم أخذناه، وكذلك هؤلاء، وقيل: «هَلْ» بمعنى «ما» أي: ما أتاك، ولكن أخبرت به، فإن فيه عبرة لمن يخشى، وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية، وفي «طُوًى» ثلاث قراءات: قرأ ابن محيصن وابن عامر والكوفيون ﴿طُوًى﴾ منونا واختاره أبو عبيد لخفة الاسم، الباقون بغير تنوين [(١)]؛ لأنه معدول مثل عُمر وقُثم

قال الفراء: طوى: واد بين المدينة ومصر، قال: وهو معدول عن طاو، كما عدل عمر عن عام، وقرأ الحسن وعكرمة « طِوى » بكسر الطاء، وروي عن أبي عمرو، على معنى المقدس مرة بعد مرة؛ قاله الزجاج؛ وأنشد:

أعَاذل إنَّ اللوم في غير كنهه علَيَّ طِوَى مِنْ غَيِّكَ المترَدِّد

أي: هو لوم مكرر عليّ، وقيل: ضم الطاء وكسرها لغتان، وقد مضى في« طه» القول فيه [(٢)]، ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: ناداه ربه، فحذف، لأن النداء قول؛ فكأنه؛ قال له ربه: «اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ»، ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: جاوز القدر في العصيان، وروي عن الحسن قال: كان فرعون علجا من همدان[(٣)]، وعن مجاهد قال: كان من أهل إصطخر [(٤)]، وعن الحسن أيضا قال: من أهل أصبهان، يقال له ذو ظفر، طول أربعة أشبار [(٥)]، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تسلم فتطهر من الذنوب، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله [(٦)]، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: وأرشدك إلى طاعة ربك ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ أي: تخافه وتتقيه، وقرأ نافع وابن كثير: «تزَّكَّى» بتشديد الزاي[(٧)]، على إدغام التاء في الزاي لأن أصلها تتزكى، الباقون: ﴿تزَكَّىٰ﴾ بتخفيف الزاي على معنى طرح التاء، وقال أبو عمرو: «تزَّكَّى» بالتشديد «تتصدق » بالصدقة، و﴿ تَزَكَّىٰ﴾ يكون زكيا مؤمنا، وإنما دعا فرعون ليكون

(١) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٤١) .

(٢) عند الآية (١٢) .

(٣ ـ ٥) سبقت جميعًا .

(٦) منقطع : بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما .

(٧) هي قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٦) .

زكيا مؤمنا، قال: فلهذا اخترنا التخفيف، وقال صخر بن جويرية: لما بعث الله موسى إلى فرعون قال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ ولن يفعل، فقال: يا رب، وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لا يفعل؟ فأوحى الله إليه أن امض إلى ما أمرتك به، فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر، فلم يبلغوه ولا يدركوه، ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ أي: العلامة العظمى وهي المعجزة وقيل: العصا، وقيل: اليد البيضاء تبرق كالشمس، وروى الضحاك عن ابن عباس: ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ قال: العصا، الحسن: يده وعصاه، وقيل: فلق البحر، وقيل: الآية: إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته، ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: كذب نبي الله موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ أي: عصى ربه عز وجل، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ أي: ولى مدبرا معرضا عن الإيمان «يَسْعَىٰ» أي: يعمل بالفساد في الأرض، وقيل: يعمل في نكاية موسى، وقيل: ﴿أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ هاربا من الحية، ﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع أصحابه يمنعوه منها، وقيل: جمع جنوده للقتال والمحاربة، والسحرة للمعارضة، وقيل: حشر الناس للحضور، ﴿فَنَادَىٰ﴾ أي: قال لهم بصوت عال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: لا رب لكم فوقي، ويروى: إن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنس بمصر في الحمام، فأنكره فرعون، فقال له إبليس: ويحك! أما تعرفني؟ قال: لا، قال: وكيف وأنت خلقتني؟ ألست القائل أنا ربكم الأعلى، ذكره الثعلبي في كتاب العرائس، وقال عطاء: كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها، فقال أنا رب أصنامكم [١]، وقيل: أراد القادة والسادة، هو ربهم، وأولئك، هم أرباب السفلة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ فنادى فحشر؛ لأن النداء يكون قبل الحشر، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: نكال قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، قوله بعد: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة [٢]، وكان بين الكلمتين أربعون سنة؛ قال ابن عباس [٣]، والمعنى: أمهله في الأولى، ثم أخذه في الآخرة، فعذبه بكلمتيه، وقيل: نكال الأولى: هو أن أغرقه، ونكال الآخرة: العذاب في الآخرة، وقاله قتادة وغيره [٤]، وقاله مجاهد: هو عذاب أول عمره وآخره [٥]، وقيل: الآخرة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ والأولى تكذيبه لموسى، عن قتادة أيضا [٦]، و﴿نَكَالَ﴾ منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج؛ لأن معنى أخذه الله: نكل، الله به، فأخرج «نكال» مكان مصدر من معناه، لا من لفظه، وقيل: نصب بنزع حرف الصفة، أي: فأخذه الله بنكال الآخرة، فلما نزع الخافض نصب، وقال الفراء: أي: أخذه الله أخذا نكالا، أي: للنكال، والنكال: اسم لما جعل نكالا للغير، أي: عقوبة له حتى يعتبر به، يقال: نكل فلان بفلان: إذا أثخنه عقوبة، والكلمة من الامتناع، ومنه النكول عن اليمين، والنكل القيد، وقد مضى في سورة «المزمل» [٧] والحمد لله، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾

---

(١) كذا عند الشوكاني (٧/ ٤١٠) في فتح القدير.

(٢) صحيح إليهم: عدا ابن عباس فقد رواه الطبري (٣٠/ ٤٤) من طريق العوفيين.

(٣) ضعيف: انظر: السابق.

(٤) صحيح إلى قتادة والحسن: الطبري (٣٠/ ٤٥) في تفسيره.

(٥) ضعيف: الطبري (٣٠/ ٤٥) من طريق ابن حميد وهو متهم بالكذب، وإن صح عن غيره.

(٦) صحيح: الطبري (٣٠/ ٤٥) في تفسيره. (٧) عند الآية (١٢).

أي: اعتبارا وعظة، ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ أي: يخاف الله عز وجل.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ يريد أهل مكة، أي: أخلقكم بعد الموت أشد في تقديركم ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ فمن قدر على السماء قدر على الإعادة؛ كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ، ثم وصف السماء فقال: ﴿بَنَاهَا﴾ أي: رفعها فوقكم كالبناء، ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي: أعلى سقفها في الهواء؛ يقال: سمكت الشيء أي: رفعته في الهواء، وسمك الشيء سُمُوكا: ارتفع، وقال الفراء: كل شيء حمل شيئا من البناء وغيره فهو سَمْك، وبِنَاءٌ مَسْمُوكٌ وسَنام سامك تامك أي: عال، والمسموكات: السموات، ويقال: أسمك في الريم، أي: أصعد في الدرجة، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي: خلقها خلقا مستويا، لا تفاوت فيه، ولا شقوق، ولا فطور.

قوله تعالى ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعله مظلما؛ غطش الليل وأغطشه الله؛ كقولك: ظلم «الليل» وأظلمه الله، ويقال أيضا: أغطش الليل بنفسه، وأغطشه الله كما يقال: أظلم الليل، وأظلمه الله، والغطش والغبش: الظلمة، ورجل أغطش: أي: أعمى، أو شبيه به، وقد غطش، والمرأة غطشاء؛ ويقال: ليلة غطشاء، وليل أغطش، وفلاة غطشى لا يهتدى لها؛ قال الأعشى:

ويَهْماءَ بالليلِ غَطشَى الفَلا ... ةِ يؤنسني صوتُ فَيادِها

وقال الأعشى أيضا:

وبثَّ الخلقَ فيها إذ دَحاها ... فهُمْ قُطَّانُها حتّى التنادي

يعني بغامرهم: ليلهم، لأنه غمرهم بسواده، وأضاف الليل إلى السماء لأن الليل يكون بغروب الشمس، والشمس مضاف إلى السماء، ويقال: نجوم الليل، لأن ظهورها بالليل.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: أبرز نهارها وضوءها وشمسها، وأضاف الضحى إلى السماء كما أضاف إليها الليل؛ لأن فيها سبب الظلام والضياء بغُروب الشمس وطلوعها، ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ أي: بسطها، وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء، وقد مضى القول فيه في أول «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] مستوفى.

والعرب تقول: دحوت الشيء أدحوه دحوا: إذا بسطته، ويقال لعش النعامة أُدحِيّ؛ لأنه مبسوط على وجه الأرض، وقال أمية بن أبي الصلت:

وبثَّ الخلق فيها إذ دَحاها ... فهُم قُطَّانُها حتى التنادي

وأنشد المبرد:

دحاها فلما رآها استوت ... على الماءِ أرسى عليها الجِبالاَ

وقيل: دحاها سواها؛ ومنه قول زيد بن عمرو:

وأسلمتُ وَجْهي لمنْ أسلمت ... له الأرضُ تحملُ صَخْراً ثقالا

دَحَاهـا فلما استوت شَـدَّها ... بأيْـدٍ وأرسَـي عليهـا الجِبَـالا

وعن ابن عباس: خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت (١)، وذكر بعض أهل العلم أن ﴿ بَعْدَ﴾ في موضع «مع» كأنه قال: والأرض مع ذلك دحاها؛ كما قال تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، ومنه قولهم: أنت أحمق وأنت بعد هذا سيئ الخلق، قال الشاعر:

فقلتُ لها عَنِّي إليكِ فإنَّني ... حَرَامٌ وإني بعد ذاك لَبيبُ

أي: مع ذلك لبيب، وقيل: ﴿ بَعْدَ﴾: بمعنى قبل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أي: من قبل الفرقان، قال أبو خراش الهذلي:

حمدتُ إلهي بعد عروة إذ نجا ... خراشٌ وبعض الشر أهون من بعض

وزعموا أن خراشا نجا قبل عروة، وقيل: ﴿ دَحَاهَا ﴾: حرثها وشقها، قاله ابن زيد، وقيل: دحاها مهدها للأقوات، والمعنى متقارب وقراءة العامة « والأرضَ » بالنصب، أي: دحا الأرض، وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون ﴿ وَالأَرْضُ﴾ بالرفع (٢)، على الابتداء؛ لرجوع الهاء، ويقال: دحا يدحو دحوا ودحى يدحى دحيا؛ كقولهم: طغى يطغي ويطغو ، وطغي يطغي، ومحا يمحو ويمحي، ولحى العود يلحى ويلحو، فمن قال: يدحو قال: دحوت ومن قال: يدحى قال: دحيت ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي: أخرج من الأرض ﴿مَاءَهَا﴾ أي: العيون المتفجرة بالماء، ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ أي: النبات الذي يرعى، وقال القتبي: دل بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ قراءة العامة ﴿ وَالْجِبَالَ﴾ بالنصب، أي: وأرسى الجبال.

﴿ أَرْسَاهَا﴾ يعني: أثبتها فيها أوتادا لها، وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم « والجبالُ » بالرفع على الابتداء، ويقال: هلا أدخل حرف العطف على «أَخْرَجَ » فيقال : إنه حال بإضمار قد؛ كقوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ أي: منفعة لكم ﴿وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ من الإبل والبقر والغنم، و«مَتَاعًا » نصب على المصدر من غير اللفظ؛ لأن معنى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ أمتع بذلك، وقيل: نصب بإسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ أي: الداهية العظمى، وهي النفخة الثانية التي يكون معها

(١) ضعيف جدًا مليء بالضعفاء : الطبري (٣٠/ ٤٩) في تفسيره .

(٢) قراءة متواترة : أبو حيان في البحر (٨/ ٤٢٣) .

البعث، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه (١)، وهو قول الحسن (٢)، وعن ابن عباس أيضا والضحاك: أنها القيامة؛ سميت بذلك لأنها تطم على كل شيء، فتعم ما سواها لعظم هولها (٣)؛ أي: تغلبه، وفي أمثالهم:

جَرى الوَادي فَطمَّ على القريِّ

المبرد: الطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع، وإنما أخذت فيما أحسب من قولهم: طم الفرس طميما: إذا استفرغ جهده في الجري، وطم الماء إذا ملأ النهر كله، غيره: هي مأخوذة من طم السيل الركية، أي: دفنها، والطم: الدفن والعلو، وقال القاسم بن الوليد الهمداني: الطامة الكبري حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، وهو معنى قول مجاهد (٤). وقال سفيان: هي الساعة التي يسلم فيها أهل النار إلى الزبانية (٥)، أي: الداهية التي طمت وعظمت؛ قال:

إن بَعْضَ الحبِّ يُعْمي ويصِمُّ وكذاك البغضُ أدْهَى وأطَمُّ

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: ما عمل من خير أو شر، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أي: ظهرت، ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ قال ابن عباس: يكشف عنها فيراها تتلظى كل ذي بصر (٦)، وقيل: المراد الكافر لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب، وقيل: يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلي الكافر بالنار، وجواب ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ محذوف، أي: إذا جاءت الطامة دخل أهلُ النار النار وأهل الجنة الجنة، وقرأ مالك بن دينار: «وبَرَزَتِ الجحيم». عكرمة وغيره: «لمن ترى» بالتاء، أي: لمن تراه الجحيم، أو لمن تراه أنت يا محمد، والخطاب له عليه الصلاة والسلام، والمراد به الناس.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: تجاوز الحد في العصيان، قيل: نزلت في النضر وأبيه الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة (٧).

وروى عن يحيى بن أبي كثير قال: من اتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى.

وروى جويبر عن الضحاك قال: قال حذيفة: أخوف ما أخاف على هذه الأمة، أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون، ويروى أنه وجد في الكتب: إن الله جل ثناؤه قال: لا يؤثر عبد لي دنياه

---

(١) منقطع: بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما وانظر الآتي.

(٢) انظر: فتح القدير (٧/ ٤١٤) للشوكاني.

(٣) انظر: السابق، وابن كثير (٨/ ٢٤٨) في تفسيره، والركية: البئر التي تُحفر اللسان «ركا».

(٤) كذا عند الطبري (٣٦٤٢٢) في تفسيره، والدر المنثور (٦/ ٥١٥) للسيوطي وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥، ٦) لم أجدهما هكذا.

(٧) والأصح أنها عامة كما اختار ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٤٨).

على آخرته، إلا بثثت عليه همومه وضيعته، ثم لا أبالي في أيها هلك ، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أي: مأواه، والألف واللام بدل من الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: حذر مقامه بين يدي ربه، وقال الربيع: مقامه يوم الحساب، وكان قتادة يقول: إن لله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون (١)، وقال مجاهد: هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع، نظيره: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦]، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: زجرها عن المعاصي والمحارم، وقال سهل: ترك الهوى مفتاح الجنة؛ لقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ قال عبد الله بن مسعود: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أي: المنزل، والآيتان نزلتا في مصعب بن عمير وأخيه عامر بن عمير؛ فروى الضحاك عن ابن عباس قال: أما من طغى فهو أخ لمصعب بن عمير أسر يوم بدر، فأخذته الأنصار فقالوا: من أنت؟ قال: أنا أخو مصعب بن عمير، فلم يشدوه في الوثاق، وأكرموه وبيتوه عندهم، فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه؛ فقال: ما هو لي بأخ، شدوا أسيركم، فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا، فأوثقوه حتى بعثت أمه في فدائه (٢)، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ فمصعب بن عمير، وقى رسول الله ﷺ بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه، حتى نفذت المشاقص في جوفه، وهي السهام، فلما رأه رسول الله ﷺ متشحطا (٣) في دمه قال: « عند الله أحتسبك » وقال لأصحابه: « لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعليه من ذهب » (٤)، وقيل: إن مصعب بن عمير قتل أخاه عامرا يوم بدر (٥)، وعن ابن عباس أيضا قال: نزلت هذه الآية في رجلين: أبي جهل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري (٦)، وقال السدي: نزلت هذه الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ في أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٧)، وذلك أن أبا بكر كان له غلام يأتيه بطعام، وكان يسأله من أين أتيت بهذا، فأتاه يوما بطعام فلم يسأل وأكله، فقال له غلامه: لم لا تسألني اليوم؟ فقال: نسيت، فمن أين لك هذا الطعام ؟ فقال: تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطونيه، فتقايأه من ساعته وقال: يا رب ما بقي في العروق فأنت حبسته فنزلت: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ (٨)، وقال الكلبي: نزلت في من هَمَّ بمعصية وقدر عليها في خلوة، ثم تركها من خوف الله (٩)،ونحوه عن ابن عباس (١٠)، يعني من

---

(١) عزاه السيوطي (٦/ ٥١٦) في الدر المنثور لابن المنذر وعبد بن حُمَيْد .

(٢) ضعيف : للانقطاع بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما

(٣) متشحطًا : متخبطًا ـ قصد ـ مضطربًا النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٤٩).

(٤) ضعيف : روح المعاني (٩/ ٢٩٣) له للآلوسي وكلهم رووه بغير سند .

(٥) بل المشهور عن أهل السير أنه أُسر .

(٦، ٧) بل هي عامة ، وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص٢٢٨) للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

(٨) لم يرو في هذا الموضع ، وقد رواه البخاري (٣٨٤٢) في مناقب الأنصار متفردًا به عن مسلم ، وليست فيه ذكر الآية، وهو عن عائشة ـ رضي الله عنها.

(٩، ١٠) ضعيفان : وإن كانا أقرب إلى الصحة .

خاف عند المعصية مقامه بين يدي الله، فانتهى عنها، والله أعلم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال ابن عباس: سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ متى تكون الساعة ؟ استهزاء، فأنزل الله عز وجل الآية (١)،وقال عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾؟ لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة ، حتى نزلت هذه الآية : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ (٢)، ومعنى: ﴿مُرْسَاهَا﴾ أي: قيامها، قال الفراء: رسوها قيامها كرسو السفينة، وقال أبو عبيدة: أي: منتهاها، ومرسى السفينة حيث تنتهي، وهو قول ابن عباس (٣)، الربيع بن أنس: متى زمانها ، والمعنى متقارب، وقد مضى في الأعراف بيان ذلك، وعن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة إلا بغضبة يغضبها ربك »(٤)، ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ أي: في أي: شيء أن يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها؟ وليس لك السؤال عنها، وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة ابن الزبير قال: لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى نزلت: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ أي: منتهى علمها؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام لما أكثروا عليه سأل الله أن يعرفه ذلك، فقيل له: لا تسأل، فلست في شيء من ذلك،ويجوز أن يكون إنكارا على المشركين في مسألتهم له؛ أي: فيم أنت من ذلك حتى يسألونك بيانه، ولست ممن يعلمه، روي معناه عن ابن عباس (٥)، والذكرى بمعنى الذكر.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ أي: منتهى علمها، فلا يوجد عند غيره علم الساعة؛وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ أي: مخوف؛ وخص الإنذار بمن يخشى، لأنهم المنتفعون به، وإن كان منذرا لكل مكلف؛ وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

وقراءة العامة﴿مُنذِرُ﴾ بالإضافة غير منون؛ طلب التخفيف، وإلا فأصله التنوين؛ لأنه للمستقبل وإنما لا ينون في الماضي، قال الفراء: يجوز التنوين وتركه؛ كقوله تعالى: ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[الطلاق: ٣]، و«وبالغٌ أمْرَه»و﴿مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:١٨] و« موهنٌ كيدَ الكافرين» والتنوين هو الأصل،وبه قرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج وابن محيصن وحميد وعباس عن أبي عمرو: « منذرٌ » منونا، وتكون[من]

---

(١) ضعيف : عزاه السيوطي (٦/ ٥١٥) في الدر لابن مردويه ،وابن أبي حاتم ، وقال : بسند ضعيف .

(٢) مرسل: عروة لم يدرك زمن النبي ﷺ وهو عند عبد الرزاق (٣٤٩٢) في تفسيره ،وقد وصله الطبري من طريق عائشة ـ رضي الله عنها كما في تفسيره (٣٠/ ٥٢) ،وكذا صححه الحاكم (١/ ٥) ووافقه الذهبي ، ورواه الطبري أيضًا من طريق طارق بن شهاب (٣٠/ ٥٢).

(٣) كذا في فتح القدير (٧/ ٤١٤) للشوكاني .

(٤) مرسل : والحسن تابعي وهو مدلس ولم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

(٥) ضعيف: وقد سبق قريباً .

في مـوضع نصب والمعنى: إنما ينتـفع بإنذارك من يخشى الـساعـة، وقال أبو علي: يجـوز أن تكون الإضافة للماضي، نحو هذا ضارب زيد أمس؛ لأنه قد فعل الإنذار، والآية رد على من قال: أحوال الآخرة غير محسـوسة، وإنما هي راحة الروح أو تألمها من غير حس، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعني الكفار يرون الساعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ أي: في دنياهم، ﴿إِلاَّ عَشِيَّةً﴾ أي: قدر عشية ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي: أو قدر الضحا الذي يلي تلك العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وروى الضحـاك عن ابن عباس: كأنهم يوم يـرونها لم يلبثوا إلا يومـا واحدا[1]، وقيل: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في قبورهم ﴿إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، وذلك أنهم استقـصروا مدة لبثهم في القـبور لما عاينوا من الهول، وقـال الفراء: يقول القائل: وهل للعـشية ضحـا ؟ وإنما الضحا لصدر النهـار، ولكن أضيف الضحا إلى العـشية، وهو اليوم الذي يكون فيه على عـادة العرب؛ يقولون: آتيك الغداة أوعشـيتها، وآتيك العشـية أو غداتها، فتكون الـعشية في معنى آخـر النهار، والغداة في معنـى أول النهار؛ قال: وأنشدني بعض بني عقيل:

نحنُ صَبَحْنا عامِرا في دارِها جُرْدا تَعَادَي طَرَفي نَهَارِها

عشية الهِلال أو سِرارِها

أراد: عشية الهلال، أو عشية سرار العشية، فهو أشد من آتيك الغداة أو عشيها.

(١) منقطع : الضحاك لم يلق ابن عباس ولم يسمع منه رضي الله عنهما .